وكالة غوث وتشغيل اللاجئين: هدف مرحلي في مرحلة النهائيات

أ. داود الغول

مقدسي فلسطيني، مرشح للدكتوراه في جامعة نيوكاسل البريطانية

تتالت الأخبار وتنوعت المواقف حول وكالة غوث وتشغيل اللاجئين – الأونروا (الوكالة) بعد سحب الإدارة الأمريكية تمويلها للوكالة، وهي حملة مبنية على معلومات كاذبة ومضللة، كما وصفتها الوكالة (الأونروا، 2024). تقود هذه الحملة إسرائيل وأمريكا، وانضمت إليها بعض الدول في فترات مختلفة، وبأشكال مختلفة، خلال السنوات الماضية. تناولت الأخبار والدراسات الحملة على الوكالة من جوانب مختلفة، منها دراسة مبررات الحملة بوصفها حملة قديمة جديدة وسبل مواجهتها (صلاح، 2018؛ عزة، 2008). وترى أدبيات أخرى أن الأزمة المالية الناتجة عن هذه الحملة ستؤدي إلى تصفية اللجوء سياسيًّا (السهلي، 2022).

بالعموم، تتفق الأدبيات على أن هدف الحملة هو تصفية قضية اللاجئين الفلسطينيين وحقهم في العودة إلى ديارهم التي هجروا منها، بينما يؤكد أنيس محسن على أن مشاريع تصفية مسألة اللاجئين الفلسطينيين بدأت قبل أن يستفيق الفلسطينيون من صدمة النكبة،

وما زالت مستمرة حتى اليوم (محسن، 2019، ص: 83).

منذ بداية حرب الإبـــادة على غزة، تصاعدت الحملة على الوكالة، وتضمنت العديد من التهم التي تسعى إلى شيطنة الوكالة ووسمها بالإرهاب؛ لتبرير إنهاء عملها، وسياسة إعادة تشكيل هوية وتعريف «نحن» و«هم» أو «الآخر» هي سياسة متبعة في أمريكا وإسرائيل، يتم من خلالها تحويل الآخر إلى هدف، إلى عدو، إلى مكروه وبالتالي تبرير استهدافه (Graham, 2011, p: 36, 348). في حالـــة الوكالـــة، أحد أبـــرز الأمثلة على اتّباع هذه السياســـة، هو اتهـــام (190) موظفًا أمميًّا في غزة بالانتماء إلى حماس والجهاد الإســـلامي، عدا اتهام موظفي الوكالة بالمشاركة في عمليات خطف وقتل (روسيا اليوم، 2024). ويتناول بعض الباحثين والإعلاميين الحملة ما بعد حرب الإبادة بشـــكل منفصل عما جرى في الســـنوات الأخيرة، وعلى ســـبيل المثال تمّت الإشـــارة في الإعلام إلى خطة كُتب عليها «شديدة السرية» من قبل وزارة الخارجية الإسرائيلية، تمت صياغتها في نهاية كانون الأول / ديســـمبر من عام 2023 بعنوان «لا أونروا بعد الحرب على غزة» (ياغي، 2024).

تســـعى هذه المقالة لدراســـة هذه الحالة في إطار التغيرات العالمية والإقليمية والمحلية، وتدّعـــي أنه لا يمكـــن قراءة وفهم محاولات إنهـــاء عمل الوكالة دون دراســـة المحاولات المتزامنـــة لتصفية قضية عـــودة اللاجئين الفلســـطينيين، بل ولتصفية القضية الفلســـطينية بالكامل في إطار مشروع أكبر يستهدف كل المناطق الفلسطينية، وبالتالي فإن الوكالة ليست الهدف الإســـتراتيجي الوحيد من هذه الحملة، وإنما هنـــاك أهداف أخرى تتجاوز موضوع عودة اللاجئين الفلسطينيين. بالتالي ترى هذه المقالة أنه يجب دراسة وتحليل حملة إنهاء عمل الوكالة في سياق المتغيرات الإقليمية والدولية، وليس بمعزل عنها.

مركزية حق العودة ماض حاضر في القضية الفلسطينية

مرّت القضية الفلســـطينية بالعديد من المراحل التاريخية، وتعتـــبر النكبة حدثًا مفصليًّا ومحطة تأسيســـية، على الرغم من الصراع المســـتمر قبلها، مثـــل: الإضراب والثورة العربية

الكـبرى 1936 – 1939 (Kanafani، 1980)، وغيرهـا. إلا أن النكبة كانت نقطة مركزية لتحول القضية الفلسطينية وتمحورها حول قضية اللاجئين كحلقة مركزية أو جوهر الصراع (قطامش، 2003، ص: 195)، حيث لعب اللاجئون الفلسـطينيون دورًا مركزيًّا في النضال قبل منظمة التحرير الفلسـطينية ومن خلالها (باومغرتن، 2006، ص: 73 – 81). تضمنت هذه المرحلة ومن بداياتها قرار الأمم المتحدة رقم 194 حول عودة اللاجئين، وتلاه تأسيس الوكالة لترافق مسـار اللاجئين الفلسـطينيين في المخيمات التي تحولت إلى القلب النابض للحياة السياسـية والنضـال لتحرير الأرض والعودة (باومغرتـن، 2006، ص: 79). مع الإشـارة إلى أن تأسيس الوكالة كان بهدف الإغاثة الإنسانية وتشغيل اللاجئين دون العمل لحل سياسي (قطامش، 2003)، وهو ما كلفت به هيئة أخرى سُمّيت بلجنة التوفيق الدولية. بالتالي استمرت الوكالة في تقديم الخدمات واستمر نضال الشعب الفلسطيني بقيادة لاجئين فلسطينيين في الشتات بشكل أساسي.

تتابعت العديد من المراحل على القضية الفلسـطينية ما بعد النكبة، ولكن المرحلة المفصلية الأهم هي اتفاقيات السـلام، أو ما يطلق عليها عادة «اتفاقية أوسـلو» أو «مرحلة أوسـلو». فقـد أدى التحول في هـذه المرحلة، وفق مخطط إسرائيلي مسـبق، إلى تأجيـل المفاوضات في القضايا المركزية لتصبح قضايـا معلقة، وأصبحت تعرف «بقضايا الوضـع النهائي»، والتي تشـكل في مجموعها جوهر القضية الفلسطينية ومضمونها، ومن ضمنها قضية عودة اللاجئين الفلسـطينيين. ولدت هذه المرحلة لتنتهي بسبب التخطيط الإسرائيلي دون تحقيق أي تقدم على قضايا الحل النهائي. وهذا ما أكد عليه رابين في خطاب ألقاه أمام جلسـة خاصة للكنيسـت الإسرائيلي في تشرين الأول / أكتوبر 1995، ويُسـمّيها ست أنزيسكا «صفقة أوسلو الخاسرة» و«سلام ولد ميتًا»، بالتالي قطع الطريق على قيام دولة فلسطينية (أنزيسكا، 2022، 343–347).

بقي هذا الحل ومسـار المفاوضات عالقًا، في إطار السـيطرة الأمريكية، على الرغم من كل النقد والوعي حول الدور الأمريكي لسنوات قبل البدء في المفاوضات، بوصفها المركز

الإمبريالي الراعي للمشروع الصهيوني، وبتعريف الصراع بوصفه «صراعًا بين فصائل حركة التحرير العربي من جهة والإمبريالية والصهيونية والرجعية العربية من جهة ثانية» (حبش، 1985، ص: 11)، أو وصف دولة إسرائيل «بالكيان الوظيفي» لتحقيق مصالح الإمبريالية والاستعمار في المنطقة (المسيري، 2003، 44 – 61). وهناك الكثير مما يمكن قوله حول هذا الموضوع، ولكنه يتجاوز حدود هذه الدراسة. أما الخلاصة فهي أن الأحداث قد سارت بعيدًا لترسم معالم واقع ومرحلة جديدة من الاستيطان الاستعماري الصهيوني في فلسطين.

أعلنت الانتفاضة الثانية انتهاء مرحلة أوسلو، وانتهت الانتفاضة الثانية بمرحلة جديدة، من أهم معالمها: غياب العديد من القيادات الأولى للفصائل الفلسطينية، ومنهم ياسر عرفات، أحمد ياسين، أبو علي مصطفى وغيرهم. فكانت المرحلة الجديدة على القضية الفلسطينية في المساحة الرمادية من اللاسلام واللاحرب، بالإضافة إلى الانقسام السياسي الفلسطيني، مع استمرار التوسع الاستيطاني وتعاظمه في كل فلسطين. ومع بداية هذه المرحلة، غَيّب المرض رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون، وبالتالي لم تستكمل جهوده وخطة الانسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة والضفة الغربية، وانتهى بذلك الحل أحادي الجانب.

في سياق هذه المرحلة، شهد الشعب الفلسطيني حالة من التراجع السياسي بعد الانتفاضة الثانية، توجت بالانقسام وغياب أفق المصالحة أو إجراء انتخابات وطنية، سواء للمجلس التشريعي أو لمؤسسات منظمة التحرير. وقد شكّل الانقسام الفلسطيني في هذه المرحلة عاملًا حاسمًا في رسم السياسات الأمريكية والعالمية تجاه القضية الفلسطينية (Serwer, 2016, 7)، على أساس ادّعاء غياب الشريك الفلسطيني، وغياب الديمقراطية، وانتشار الفساد، وأزمة التمثيل أو الشرعية والقيادة. وعلى الصعيد الإسرائيلي بدأت مرحلة جديدة بتولي نتنياهو منصب رئاسة الوزراء، وهو المعروف بتوجهاته التي تعتمد على السلام مقابل الاقتصاد (Ahren, 2008)، وبالتالي بدء مسار جديد لا يحمل على جدول أعماله للفلسطينيين

من وجهة نظر إسرائيلية سوى فتات من الجغرافيا والاقتصاد والدور الأمني للسلطة، دون أي أفق لتحقيق أي من قضايا المرحلة / الوضع النهائية. وكأن القضية الفلسطينية وضعت جانبًا، على الرغم من استمرار التناقضات والصراع.

مرحلة جديدة في تاريخ الصراع

لا يمكن فصل القضية الفلسطينية عمّا يحدث على المستوى العالمي. العالم والسيطرة الأمريكية شهدا تغيرات جديدة. التغيير الجوهري في هذه المرحلة هو تركيز أولوية الإدارة الأمريكية على قوة الصين النامية عالميًّا، بالتالي تمت إعادة ترتيب للأولويات والسياسات الأمريكية. وعند الحديث عن القضية الفلسطينية، بربْطها بالمتغيرات الإقليمية والعالمية، من الضروري إدراج الكثير من المتغيرات في المنطقة والعالم، ومن أهمها على سبيل المثال، انسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان والعراق، وعدم تحقيق نصر في سوريا، وعودة سوريا إلى جامعة الدول العربية، وغيرها من الأحداث والمتغيرات التي شهدتها المنطقة (Commuri, 2023).

بدأت تلك المتغيرات وغيرها منذ عهد الرئيس الأمريكي أوباما واستمرت في عهدي ترامب وبايدن، ومن الواضح أنهم جميعًا تعاملوا مع نفس التحديات والأولويات والأهداف، ولكن بطرق مختلفة، ومع ذلك بقيت الأهداف نفسها وإن اختلف الخطاب أو السياسات لتحقيقها وتحقيق المصالح الأمريكية. من الجدير التأكيد على أن المخططات والسياسات الأمريكية لا تعني تنفيذها أو نجاحها بالضرورة، حيث يشير هشام صفي الدين إلى أنه في هذه المرحلة «بدأ العدّ العكسي مع صعود حركات المقاومة العسكرية في أفغانستان والعراق وانتصار المقاومة في لبنان عام 2006 وفي غزة عام 2008. في حين استغلّت واشنطن الانتفاضات العربية، التي اندلعت عام 2011 فحرفت مسارها» (صفي الدين، 2024).

في عهد أوباما، ركّزت التغييرات التي أحدثها على الصواريخ البالستية وتحديث الترسانة

النووية، وبدأت الإشـارات بوضوح إلى توجه الولايات المتحدة نحو خفض مشـاركتها واسـتثماراتها ودورها القيادي على الصعيد الإقليمي، من خلال السـعي النشـط لتقاسم القيادة في الشرق الأوسط، إن لم يكن التنازل عنها للشركاء، واستيعاب برامج محلية متنوعة (Sayigh, 2012). المتغير المهم هو أن السياسة الأمريكية في عهد أوباما بدأت تخطو خطوة للوراء وتدفع بعض القوى الإقليميـة إلى الأمام (Baran & Yilmaz, 2014). أما ترامب فقد قال بوضـوح: «نحن الآن المنتج الأول للنفط والغاز الطبيعـي في أي مكان في العالم، نحن مسـتقلون، ولا نحتاج إلى نفط الشرق الأوسط». كما شـدّد على «الخطر الإيراني» في المنطقة وطلب من الناتو الانخراط أكثر في الشرق الأوسط (The White House, 2020). في نفس الوقت، استمر خطاب شيطنة الآخر؛ إذ لعبت واشنطن ووكلاؤها في المنطقة طوال هذه المرحلة، على الوتر الطائفي فتمّ تصوير إيران، لا إسرائيل، كخطر وجودي على العرب (صفي الدين، 2024). فعلى سبيل المثال، أشار ترامب لممثلين من اللوبي الصهيوني وقيادات دينية يهودية، أنه قبل تولّيه الحكم بيوم لم يكن الأمر يتعلق بمدى حجم إيران وقوتها، بل كان السؤال هو: متى يستولون على الشرق الأوسط بأكمله؟ وربما يشمل ذلك إسرائيل، في ذهن الكثير من الناس حسـب قوله (The White House, 2020). في الوقت ذاته، فإن التوجه لمشـاركة الناتو والدول العربية هو أحد أشكال خفض المسـؤولية الأمريكية في المنطقة من خلال الشراكة، وهي ليسـت تنازلًا عن السيطرة الأمريكية بالكامل. أما على صعيد الدول العربية ودورها، فستلعب كل دولة دورها الإقليمي حسب ترامب، وعلى سبيل المثال، أقر ترامب بالدور الحيوي الذي لعبته الأردن في اسـتضافة اللاجئين وبشكل خاص اللاجئين السـوريين، وأن الولايات المتحدة ستسـاهم بأموال إضافية للأردن من أجل المساعدات الإنسانية للمساهمة في استضافة اللاجئين، فبات من الواضح أن يصبح الوضع آمنًا لعودتهم إلى ديارهم (The White House, 2017). إن سياسـة تخفيض مسـتوى الهيمنة الأمريكية المباشرة وتغيير القواعد والمعايير سيتيح مساحة متزايدة للقوى الإقليمية للمناورة، وبشكل

خاص إسرائيل والسعودية وإيران (Yom, 2020).

صاغت إدارة بايدن سياســتها، في أنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تنتقل من النموذج الحالي المتمثل في كونها الضامن الأمني الإقليمي، الذي لا مثيل له في مجموعة من العلاقات الثنائية المحورية إلى نموذج آخر يتمثل في كونها طرفًا إقليميًّا متكاملًا في مجموعة من القضايا، بما في ذلك الأمن والاقتصاد والطاقة (Katulis & Juul, 2021). وكان من الملاحظ مع بداية فترة حكم بايدن تأخر اتصاله مع رئيس الــوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، وإنهاء الدعم الأمريكي للســعودية في حربها على اليمن (Bertrand & Seligman, 2021)، وغيرها من السياســات والإجراءات التي تحاكي نفس السياســة في تراجع أولوية المنطقة لدى أمريكا مقابل أولوية مواجهة الصين وروسيا.

هذه المتغيرات وغيرها والتي لا مجال لتعدادها في هذا المقال، أدت إلى مراجعة السياسات الأمريكية ومحاولتها التخلص من عبء «مســألة الشرق الأوسط»، من خلال تحويل مسار العمل من حل القضية الفلســطينية أولًا، إلى تطبيع الدول العربية مع إسرائيل، على أساس أن «العديد من الدول العربية مســتعدة لحل الصراع العربي – الإسرائيلي وتريد الدخول في شراكة مع إسرائيل والتركيز على المشاكل الخطيرة التي تواجه المنطقة (The White House, 2020, p: 7). هذا التوجه يعكس بشــكل واضح المخطط الأمريكي للمنطقة، ويشــير إلى منهج التطبيع العربي السياسي والاقتصادي مع إسرائيل دون حل القضية الفلسطينية. وهذا يتم وفق الفهم الأمريكي من خلال إعادة تشــكيل الـ«نحن» و«الآخر»، بحيث يشارك كل مــن يوافق على هذا التوجه ضمن «نحن»، ويصبح كل من يعارضه جزء من «الآخر» الذي يشــكل الخطر على المنطقة، وعلى هذا الأساس تم اعتبار أن إيران هي مصدر الخطر على هذا المشروع والذي تجاوز حدود الدول الوطنية العربية ليشمل المنطقة برمتها.

ما حملته هذه المرحلة للفلســطينيين هو مشروع دولة قابلة للحياة، أو ما سُــمّي في خطة

ترامب «الازدهار» (The White House, 2020)، وهو بشكل واضح تبنٍّ كامل للمشروع الاستعماري الاستيطاني التوسعي، وتحييد الفلسطينيين، من خلال العقوبات الجماعية أو ازدهار البرجوازية الكولونيالية في ظل التبعية والإلحاق الاقتصادي للاقتصاد الأمريكي. وبالنظر لعناوين هذه المرحلة وما تسعى لتحقيقه، نرى بوضوح السعي لتصفية القضية الفلسطينية بالكامل، ويتجاوز العمل فلسطين ليشمل مشروع إعادة تشكيل الإقليم بالكامل. تمثلت هذه المرحلة الجديدة في خطوات عملية، منها: التطبيع العربي، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وإعلان القدس عاصمة إسرائيل، وضم الجولان وإعلانها مناطق إسرائيلية، والسعي لضم غور الأردن، وكذلك تصفية قضية اللاجئين والعمل على إنهاء دور الوكالة.

تتجلى هذه السياسات والمخططات بشمولية ووضوح في الوثيقة التي عرفت بصفقة القرن، وهي تحمل عنوان السلام مقابل الازدهار (White House، 2020)، وهي وثيقة مهمة لأنها تحدد بوضوح الدول العربية المشاركة، والتوجه الأمريكي تجاه المنطقة، وهي تشترط «أن ينص اتفاق السلام الإسرائيلي الفلسطيني على إنهاء جميع المطالبات المتعلقة بوضع اللاجئ أو الهجرة والتخلي عنها بشكل كامل». وبشكل خاص، أنه «لن يكون هناك حق عودة أو استيعاب لأي لاجئ فلسطيني في دولة إسرائيل».

وعليه، فإن خطة ترامب تقدم تصورها من خلال «ثلاثة خيارات للاجئين الفلسطينيين الذين يبحثون عن مكان إقامة دائم، هي:

1. الاستيعاب في دولة فلسطين (مع مراعاة القيود الواردة أدناه).

2. الاندماج المحلي في البلدان المضيفة الحالية (رهنًا بموافقة تلك البلدان)؛ أو:

3. قبول 5،000 لاجئ سنويًّا، لمدة تصل إلى عشر سنوات (ما مجموعه 50،000 لاجئ)، في فرادى الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي التي توافق على المشاركة في

إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين (رهنًا بموافقة تلك الدول فرادى)».

كما أن الخطة شددت على أنه «عند توقيع اتفاقية السلام بين إسرائيل وفلسطين، سينتهي وضع اللاجئين الفلسطينيين وستنتهي صفة اللاجئ الفلسطيني، وسيتم إنهاء عمل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (أونروا) وستنتقل مسؤولياتها إلى الحكومات المعنية. وسيخصص جزء من خطة ترامب الاقتصادية لاستبدال مخيمات اللاجئين في دولة فلسطين بمشاريع إسكان جديدة في دولة فلسطين»، «وبالتالي، سيؤدي اتفاق السلام الإسرائيلي الفلسطيني إلى تفكيك جميع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وبناء مساكن دائمة» (The White House, 2020, pp: 32 – 33).

وكالة الغوث، واللاجئين

يتبين مما تقدم أن الحملة على وكالة الغوث ليست منفصلة عما يجري على الصعيد الإقليمي والعالمي. والمرحلة الحالية تمثل محاولة لتصفية القضية الفلسطينية من خلال فرض تسويات كأمر واقع على جميع قضايا المرحلة النهائية بالشراكة ما بين مجموعة من الدول، على رأسها أمريكا، وعودة اللاجئين الفلسطينيين، هي أحد أهم هذه العناوين التي تواجه محاولات الإلغاء والمحو من خلال إنهاء عمل الوكالة، توطين اللاجئين، وغيرها من المشاريع. لقد شكّل إنهاء وكالة الأونروا أحد الأهداف الملحة التي تسعى إسرائيل إلى تحقيقها ضمن إستراتيجية التطبيع الإسرائيلي الحالية، في إطار سعيها لمحو تاريخها المليء بجرائم التهجير القسري المستمر» (بديل، 2021).

تمثل الوكالة أهمية كبيرة في قضية اللاجئين الفلسطينيين، على الرغم من أن دورها لا يشمل تحقيق عودة اللاجئين أو البحث عن حل سياسي لهم، إلا أنها أصبحت إحدى الجبهات في مواجهة تصفية حق العودة، وأصبحت أرشيفاتها مادة غنية عن المخيمات واللاجئين الفلسطينيين (Editorial Staff, 2023). بالتالي أصبحت الوكالة جزءًا من

«الآخر»، وبدأ التحريض عليها وتحويلها إلى هدف يجب القضاء عليه.

يلخص نضـــال العزة المبررات والاعتبارات الإسرائيلية لحملة إنهاء عمل الوكالة بالآتي (عزة، 2008):

1) تميز اللاجئون العرب الفلسطينيون بوجود مؤسسة خاصة تقدم الخدمات لهم، وهي مبنية بشكل يؤدي إلى «إدامة حالة اللجوء ولإضفاء وضع لاجئ على كل الأشخاص المسجلين لديها والمستفيدين من خدماتها».

2) توريث صفة اللاجئ من خـــلال «إضفائها صفة وضع لاجئ على خَلَفِ اللاجئين، الأمر الذي يترتب عليه ازدياد أعداد اللاجئين الفلسطينيين».

3) تواصل تقديم خدماتها، ســـواء للاجئين الذين حصلوا على جنسية بلدان أخرى، أو أولئك الذين لا يعيشون في مخيمات لاجئين في مناطق عمل الأونروا الخمس.

4) وجود الوكالة يعزز «إيمان الفلســـطينيين بأنهم أبرياء، وضحايا، وأن لهم بالتالي حقًّا على الأمم المتحدة والدول».

5) توفير فرص العمل للفلسطينيين؛ إذ إن «الطواقم العاملة في الأونروا هي في غالبيتها العظمى فلسطينية».

6) تغذية «الإيمان لدى اللاجئين بإمكانية العودة إلى «إسرائيل»، خصوصًا وأن الأونروا تكرر في منشوراتها وعلى لسان مسؤوليها، أن للاجئين المسجلين لديها الحق بالعودة إلى ديارهم».

7) وأخيرًا، اعتبار المخيمات الفلسطينية مصدر تهديد وخطر على السلم والأمن العالميين.

أما الإدارة الأمريكية فقد أشارت بشكل واضح إلى اعتبارها موضوع توريث صفة اللاجئ هي مشكلة رئيسية، فعلى سبيل المثال تشير وثيقة صفقة القرن إلى أنه «ولكي يكون الفرد مؤهلًا

للحصول على أي حقوق للاجئين بموجب اتفاقية السلام الإسرائيلية الفلسطينية، يجب أن يكون في وضع لاجئ مسجل لدى الأونروا، اعتبارًا من تاريخ صدور هذه الرؤية [صفقة القرن]. إن الإشارة إلى تعريف الأونروا للاجئين يتم استخدامها فقط لتحديد عالم أصحاب المطالبات ولإعطاء أمناء صندوق اللاجئين الفلسطينيين أوسع مرونة لتحديد منهجية التوزيع المناسبة، ولكن لا ينبغي أن تفسر على أنها قبول من الولايات المتحدة بأنه في غياب اتفاقية السلام الإسرائيلية الفلسطينية ينبغي تحديد وضع اللاجئ بالرجوع إلى هذا التعريف، بما في ذلك على نحو دائم ومتعدد الأجيال (The White House, 2020, p: 32).

لقد فاقم تفويض الأونروا، وتعريفها المتعدد الأجيال لمن يعتبر لاجئًا، من أزمة اللاجئين. وفي ظل أي ظرف من الظروف، فإن الأفراد الذين أعيد توطينهم بالفعل في موقع دائم (سيتم تحديده بمزيد من التفصيل في اتفاقية السلام الإسرائيلية الفلسطينية) لن يكونوا مؤهلين لإعادة التوطين، وسيكونون مؤهلين فقط للحصول على تعويضات» (The White House, 2020, p: 32).

مسألة اللاجئين الفلسطينيين وحق العودة موجود في كل أماكن تواجد اللاجئين الفلسطينيين، وبشكل خاص في دول بلاد الشام التي استقبلت العدد الأكبر من اللاجئين، وهي تتعرض للتصفية بمختلف الوسائل. المخيمات في هذه الدول شهدت في السنوات الأخيرة العديد من الأحداث التي أدت إلى تهجير ونزوح اللاجئين منها، ومن أبرز الأمثلة ما حصل في أكبر مخيمات اللجوء في سوريا ولبنان، فمخيم اليرموك والذي يعتبر أكبر مجتمع للاجئي فلسطين في سوريا (الأونروا، 2021) تعرض للتدمير على يد من وصفهم مصطفى الهرش بالمسلحين الغرباء، بالتشديد على دور مجموعات مثل «جبهة النصرة» و«داعش» فيما حصل في المخيم، حيث أشار إلى «أنه من الواضح أن هناك من لا يرغب في حل مشكلة مخيم اليرموك، بل يسعى إلى إطالة أمد هذه الأزمة، ويجد مصلحته في استمرارها» (الهرش، 2014). وكذلك في لبنان، تعرض مخيم عين الحلوة والملقب «بعاصمة الشتات الفلسطيني»

(حمـــودي، 2023) للعديد من الأحـــداث التي أدت إلى نزوح وقتـــل العديد من اللاجئين (الجزيرة، 2023; الدهيبي، 2023). ناهيك عن مشاريع التوطين والكثير من الأحداث التي تعرضت لها المخيمات الفلسطينية في سوريا ولبنان والتي تحتاج إلى بحث منفصل.

طوفان الأقصى، نهاية مرحلة وبداية مرحلة خارج السياق والمخططات

يمكننا اعتبار طوفان الأقصى وحرب الإبادة المستمرة حتى اللحظة بداية مرحلة جديدة. بالتأكيد، عملت هذه المرحلة على تغيير أو تعطيل السياق الأمريكي في إعادة تشكيل المنطقة على أساس تطبيع الدول العربية مع إسرائيل، وخفض مسؤوليتها واستثماراتها. ومن الجدير التأكيد على أنه ما زال من المبكر تحديد نتائج، أو ما ستؤول إليه الأمور في هذه المرحلة، وبكل الحالات لا يمكننا فهم ما يجري في هذه المرحلة دون ربطها بالسياق والمرحلة السابقة، وهذا ما توضحه الوثيقة الصادرة عن حركة حماس بعنوان «هذه روايتنا، لماذا طوفان الأقصى؟»، حيث تشـــير إلى أنه «الآن، وبعد أكثر من 75 عامًا من الاحتلال والمعاناة، وإفشـــال أي أمل بالتحرير والعودة، وبعد النتائج الكارثية لمســـار التسوية السلمية، ماذا كان يتوقّع العالم من شعبنا أن يفعل»، ويشمل ذلك التساؤل عن «وماذا يفعل ليحقّق أمل سبعة ملايين فلسطيني بالعـــودة إلى ديارهم بعد 75 عامًا من النفي والشـــتات» (حماس، 2024، ص: 6). تتضمن الوثيقة إشـــارة مباشرة لفقدان الأمل لدى الشعب الفلســـطيني بالتحرر وعودة اللاجئين كعنصرين مركزيين لدى حركات التحرير الفلســـطينية، وهي تمثل تحرير الأرض والإنسان ولا تستثني اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات والشتات.

إلا أن الوثيقـــة لم تتضمن حق العودة في الأهداف المباشرة لعملية طوفان الأقصى، وهذا يحتمل العديد من الأســـباب، منها «إن حق العودة مشمول ضمن الحقوق الوطنية»، حيث نصت الوثيقة على أنـــه «كانت عملية طوفان الأقصى في 7 تشريـــن الأول / أكتوبر 2023، خطوة ضرورية واستجابة طبيعية، لمواجهة ما يُحاك من مخططات إسرائيلية تستهدف تصفية القضية الفلسطينية، والسيطرة على الأرض وتهويدها، وحسم السيادة على المسجد الأقصى

والمقدســات، وإنهاء الحصار الجائر على قطاع غزة، وخطوة طبيعيــة في إطار التخلّص من الاحتلال، واســتعادة الحقوق الوطنية، وإنجاز الاســتقلال والحرية كباقي شعوب العالم، وحق تقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس» (حماس، 2024، 6)، أو بسبب فهم واقعي لطبيعة المرحلة والتي تتضمن محاولات تصفية القضية الفلسطينية وتهجير المزيد من الفلسطينيين، حيث شملت الوثيقة الدعوة إلى «الوقوف في وجه محاولات تهجير فلسطينيي الدَّاخل (فلسطينيي 1948، والضفَّة والقطاع) وتشريده، ومنع إيقاع نكبة جديدة بهم. فلا تهجير لســيناء أو الأردن أو أي مــكان. وإذا كان ثمَّة انتقال للاجئين؛ فهو العودة إلى بيوتهم ومنازلهم التي أخرجوا منها ســنة 1948، والتي تكرّر اتخاذ القرار الدولي بحقهم في ذلك أكثر من 150 مرَة» (حماس، 2024، ص: 16).

افتتح طوفان الأقصى مرحلة جديدة في تاريخ الشــعب الفلسطيني، وأعاد المواجهة إلى مســتوى الصراع الرئيسي مع المشروع الاستيطاني الاســتعماري الصهيوني، وهي مواجهة الإبادة في صراع الوجــود الذي نجح الاحتلال في إخفائه من خــلال التضليل الإعلامي على مدار المراحل الســابقة. ولذا، من الضروري التأكيد على أنه من المبكر تحديد نتائج هذه المرحلة، وفي نفس الوقت كان الانتقال إلى هذه المرحلة عودة إلى مشروع التحرير في مواجهة نفــس التحالف القديــم بقيادة أمريكا. هذا التحول لم يحقق النصر بنســف كل المشــاريع والمخططات من المرحلة الســابقة، بل نجح في تعطيلها وحرف مسارها وقلب الموازين على الصعيد الإقليمي والعالمي. يصف صفي الدين هذا التحول بأن طوفان الأقصى «قلب هذا المشهد رأسًــا على عقب»؛ إذ لم تعد الورقة الطائفية قابلة للصرف ولم يعد صرف النظر عن التغطــرس والتوحّش الإسرائيليين والمدعومين غربيًّــا مقنعًا، والأهمّ على الصعيد الجيو – إستراتيجي أنّ الكيان الصهيوني بات بحاجة إلى دعم عسكري مباشر ومستمرّ من واشنطن» (صفي الدين، 2024).

في هذه المرحلة، عبرت الإدارة الأمريكية ومارســت دعمها اللامحدود لإسرائيل فيما يســمى «حقها في الدفاع عن النفــس»، وهو ليس بالجديد، ولكنــه على عكس المرحلة

السابقة أعاد القوات الأمريكية بشكل مباشر بتكلفة أعلى وبحجم غير مسبوق إلى المنطقة التي سعت للخروج منها ومشاركة إدارتها مع الناتو ودول أخرى. عدا عن اضطرار أمريكا للمشاركة الفعلية في جبهات كانت أقل أهمية بالنسبة لها، وكانت تحاول الحد من وجودها العسكري فيها، وتخفيض استثماراتها، فما حدث كان العكس تمامًا، فالوجود العسكري الأمريكي في المنطقة في بداية الأحداث وبفترات مختلفة يُعدّ الأكبر وبشكل غير مسبوق على حساب الأولويات الأهم مثل الصين. هذا التحول أعاد القضية الفلسطينية لتكون العنوان الأول قبل المضي في أي مشاريع أخرى في المنطقة. ولكن الأهم هو التأكيد على أن أهداف أمريكا وإسرائيل لم تتغير، وما لم ينجحوا في تحقيقه من خلال المفاوضات، حاولوا تحقيقه بالالتفاف والتطبيع مع الدول العربية، ويحاولون الآن تحقيقه بالقوة والحرب، وهذا ما يفسّر على سبيل المثال رفض تسليم قطاع غزة للسلطة الفلسطينية. وهذا ما عبّر عنه فراس ياغي، إن الخطة ترتكز أيضًا على مبدأ «لا أونروا بعد الحرب على غزة» (ياغي، 2024).

في النهاية، من الواضح أن الحملة على وكالة غوث وتشغيل اللاجئين هي جزء من محاولات المعسكر الأمريكي في إعادة تشكيل المنطقة بما يتلاءم مع مصالح أمريكا أولًا، وحلفائها ثانيًا. هذه الجهود اصطدمت وتصطدم بالمقاومة، وعلى رأسها المقاومة الفلسطينية، ولذلك تسعى أمريكا وإسرائيل جاهدتين لتصفية القضية الفلسطينية للمضي قدمًا نحو «شرق أوسط جديد» على أساس التطبيع. في هذا السياق، فإن إنهاء عمل الوكالة هو أحد الأهداف والخطوات لتصفية عودة اللاجئين بوصفه حلقة مركزية في الصراع، وبالتالي هي جزء من الجهد لتصفية القضية الفلسطينية بوصفها العقبة المركزية في إعادة تشكيل جغرافيا المنطقة برمتها. مع التأكيد على أن المرحلة الجديدة التي بدأت مع طوفان الأقصى لم تغير الأهداف الأمريكية والإسرائيلية، بل نقلتها إلى مواجهة علنية لا نهاية لها إلا بتحقيق نصر لأحد طرفي هذا الصراع التناحري.

المصادر والمراجع:

- أنزيسكا، سِـــث. (2022). **قطع الطريق على فلسطين: تاريخ ســياسي من كامب ديفيد إلى أوسلو**. ترجمة: داود تلحمي. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- الأونروا. (أيار / مايو 2024). الأونروا: المزاعم مقابل الحقائق. يُنظر الرابط:

  https: / / www.unrwa.org / ar / الأونروا – المزاعم – مقابل – الحقائق

- الأونروا. (2021). مخيم اليرموك (مخيم لاجئين غير رســمي). موسوعة المخيمات الفلسطينية. يُنظر الرابط:

  https: / / palcamps. net / ar / camp / 82%C2%A0

- باومغرتن، هلغى. (2006). **من التحرير إلى الدولة تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية 1948 – 1988**. ترجمة: محمد أبو زيد. مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.
- الجزيرة نت. (31 / 7 / 2023). اشتباكات عين الحلوة. موجة نزوح وارتفاع عدد القتلى وهدوء حذر بعد اتفاق لوقف إطلاق النار. يُنظر الرابط:

https: / / www. aljazeera. net / news / 2023 / 7 / 31 / اشــتباكات – عين – الحلوة – موجة – نزوح – وارتفاع

- حبش، ج. (1985). **أزمة الثورة الفلسطينية الجذور والحلول**. بيروت: الفارابي.
- حماس. (2024). **هذه روايتنا: لماذا طوفان الأقصى؟** حركة المقاومة الإسلامية – حماس.
- حمودي، ســناء. (02 / 08 / 2023). «مخيم عين الحلوة: «عاصمة الشــتات». **مؤسســة الدراسات الفلسطينية**. يُنظر الرابط:

  https: / / www. palestine – studies. org / ar / node / 236037

- الدهيبي، جنا. (31 / 07 / 2023). قصة مخيم فلسطيني يغلي بالاشتباكات. ما سيناريوهات الأحداث الأمنية في «عين الحلوة؟ الجزيرة نت. يُنظر الرابط:

https: / / www. aljazeera. net / politics / 2023 / 7 / 31 / قصة – مخيم – فلسطيني – يغلي – بالاشتباكات – ما

- روســيا اليــوم (فضائيــة). (30 / 01 / 2024). إسرائيل تتهم 190 موظفًا أمميًّــا في غزة بالانتماء إلى «حماس» و«الجهاد الإسلامي. يُنظر الرابط الآتي:

https: / / arabic. rt. com / world / 1533963 – – إسرائيــل – تتهــم – 190 – موظفا – أمميا – في / غزة – بالانتماء – إلى – حماس – والجهاد – الإسلامي

- الســـهلي، أيهم. (11 / 05 / 2022). الأونروا: حين تســـاهم الأزمة المالية في تصفية اللجوء سياسيًا. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. يُنظر الرابط:

https: / / www. palestine – studies. org / ar / node / 1652800

- صفـــي الدين، هشـــام. (14 / 08 / 2024). عرب الناتو: من حلف بغـــداد إلى الحلف الإبراهيمي. صحيفة الأخبار. ينظر الرابط الآتي (شـــوهد في 17 / 8 / 2024): https: / / al – akhbar. com / Opinion / 385609

- صلاح، هنادي. (2018). سبـــل مواجهة قرارات تقليص دعم وكالة غوث وتشـــغيل اللاجئين. [ورقة موقف]. الهيئة الدولية لدعم حقوق الشعب الفلسطيني. يُنظر الرابط الآتي (شوهد في 15 / 08 / 2024): https: / / icspr. ps / 1890

- عـــزة، نضال. (2008). «في مواجهة مشروع إلغاء وكالة الغوث الدولية». **حق العودة**. العدد (27 – 28). ص: 17. يُنظر الرابط الآتي (شوهد في 5 / 8 / 2024):

https: / / www. badil. org / ar / publications / haq – al – awda / issues / items / 1821. html

- قطامـــش، أحمد. (2003). «حق العـــودة جوهر الصراع». في «**أبحـــاث ومداخلات**. أحمد قطامش وآخرون. رام الله: مركز منيف البرغوثي الثقافي.

- محســـن، أ. (2019). اللاجئون الفلســـطينيون في صفقة القرن: التأســـيس على الأمر الواقع – لبنان نموذجًا! **مجلة الدراسات الفلسطينية**. المجلد (30). العدد (120). ص: 80 – 95.

- المســـيري، عبد الوهاب. (2003). **مقدمة في دراسات الصراع العربي الإسرائيلي: جذور، ومسارح، ومستقبله**. دمشق: دار الفكر.

- الهرش، مصطفى. (13 / 06 / 2014). «مخيم اليرموك: معاناة ودمار وأزمة مســـتعصية». **مؤسســـة الدراسات الفلسطينية**. يُنظر الرابط:

https: / / www. Palestine – studies. Org / ar / node / 1635822

- ياغي، فراس. (28 / 01 / 2024). خطة إنهاء وكالة غوث وتشغيل اللاجئين 'الأونروا'. وكالة وطن للأنباء. يُنظر الرابط الآتي (شوهد في 20 / 08 / 2024):

https: / / www. Wattan. Net / ar / news / 426330. Html

المراجع الأجنبية

- Ahren, R. (20/11/2008). Netanyahu: Economics، Not Politics، Is the Key to Peace. Haaretz. https:// www. Haaretz. Com/2008 – 11 – 20/ty – article/netanyahu – economics – not – politics – is – the – key – to – peace/0000017f – f49d – d47e

– a37f – fdbd12a10000

– Baran, M. & Yilmaz, M. E. (2014). The Changing US Policy Toward the Middle East: New Isolationism Or Leading From Behind. Uluslararası Hakemli Sosyal Bilimler E – Dergisi, 40, 24.

– Bertrand, N. & Seligman, L. (22/02/2021). Biden deprioritizes the Middle East. POLITICO. https:// www. Politico. Com/news/2021/02/22/biden – middle – east – foreign – policy – 470589

– Commuri, M. (17/5/2023). One Step Forward، Two Steps Behind: The US Shift Away From the Middle East. Perry World House. https:// global. Upenn. Edu/ perryworldhouse/news/one – step – forward – two – steps – behind – us – shift – away – middle – east

– Editorial Staff. (2023). The Spectacular and the Protracted: The Palestinian Struggle Continues. Jerusalem Quarterly, 93. https:// www. Palestine – studies. Org/en/ node/1653825

– Graham، S. (2011). Cities under siege: The new military urbanism (Pbk. Ed). Verso.

– Kanafani، G. (1980). The **1936 – 39** Revolt in Palestine. The Tricontinental Society.

– Katulis، B.، & Juul، P. (2021، December 16). Strategic Reengagement in the Middle East. Center for American Progress. https:// www. Americanprogress. Org/article/ strategic – reengagement – in – the – middle – east/

– Sayigh، Y. (2012، November 15). U. S. Foreign Policy in the Middle East: Caution and Partial Retreat? Carnegie EnDowment. https:// carnegieendowment. Org/ posts/2012/11/us – foreign – policy – in – the – middle – east – caution – and – partial – retreat?lang=en

– Serwer، D. (2016). Recalculating U. S. Policy in the Middle East: Less Military, More Civilian. Middle East Institute (MEI) Policy Focus. No. 8. Pp: 1–11.

– The White House. (5/04/2017). Remarks by President Trump and His Majesty King Abdullah II of Jordan in Joint Press Conference [Government]. The White House. https:// trumpwhitehouse. Archives. Gov/briefings – statements/remarks – president – trump – majesty – king – abdullah – ii – jordan – joint – press – conference/

- The White House. (06/09/2018). Remarks by President Trump in Rosh Hashanah National Press Call with Jewish Faith Leaders and Rabbis. The White House. https:// trumpwhitehouse. Archives. Gov/briefings – statements/remarks – president – trump – rosh – hashanah – national – press – call – jewish – faith – leaders – rabbis/

- The White House. (08/01/2020). Remarks by President Trump on Iran [Government]. The White House. https:// trumpwhitehouse. Archives. Gov/briefings – statements/ remarks – president – trump – iran/

- White House. (2020). Peace to Prosperity. The White House.

https:// trumpwhitehouse. Archives. Gov/peacetoprosperity/

- Yom، S. (2020). US Foreign Policy in the Middle East: The Logic of Hegemonic Retreat. Global Policy. 11 (1). Pp: 75–83. https:// doi. Org/10. 1111/1758 – 5899. 12777